شعر الرثاء عند جميلة العلايلي

د. عفاف مبروك محمود عاشور

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ... وبعد:

فشعر الرثاء من أهم موضوعات الشعر الغنائي العربي، ومن أقدم الفنون الشعرية التي عرفها الشعراء، إذ قلما يخلو منه ديوان أي شاعر من الشعراء على مر العصور المختلفة من الجاهلي حتى الحديث. إذ كان الرجال والنساء جميعًا يندبون الموتى مؤبنين لهم مثنيين على خصالهم، سواء أكان المتوفى زوجًا، أم صديقًا أم حبيبًا، أم قريبًا، أم ملكًا، أم رئيسًا، ويعد الرثاء من أصدق المشاعر التي يعبر عنها الشاعر دون تملق أو خداع أو نفاق؛ لأنه يعبر عما يجيش بصدره تجاه المرثي من أثر الفجيعة. إلا قلة قليلة من الشعراء الذين يرثون الملوك والرؤساء بقصد النفاق، من أجل العطية والهبة، ولكن إلى جانب ذلك تطالعنا كثير من النماذج الصادقة التي تصور المشاعر في أبدع تصوير.

لقد اشتهر الرثاء بين النساء، كما اشتهر بين الرجال. بل إنه يُعد عند النساء أصدق عاطفة، وأكثر انفعالًا، وأرق شعورًا لأن المرأة بطبيعتها أقل صبرًا وأكثر جزعًا وحزنًا وبكاء من الرجل، حتى قيل إن الرثاء شعر المرأة، بمعنى أنه الغرض الأساسي الذي تُبدع فيه المرأة.

لقد أبدعت شاعرتنا في هذا الفن، فأخرجت لنا نماذج رائعة في الرثاء، وتتميز هذه القصائد كلها بالصدق الفني والموضوعي.

الشاعرة جميلة العلايلي:

من مواليد محافظة الدقهلية (١٩٠٧-١٩٩١م) هي شاعرة الوجدان النسائي وهي الشاعرة الوحيدة، شاعرة مجلة أبولو، وتمتعت بجرأة أدبية في التعبير عن مكنونات المرأة الشاعرة في أشعارها الوجدانية بصورة لا تتنافى مع العفاف الذي ينبغي للمرأة التحلي به، وكتبت في معظم الأغراض والموضوعات الشعرية ويعبر شعرها الاجتماعي عن إحساسها الراقي بأسرتها، وإنسانيتها العالية، وشعرها الوطني معبر عن الروح والمحبة للوطن، المشيدة بزعاماته السياسية، الحزينة لما يصيب الوطن من كبوات وآلام وطنية، وهي لم تكتب الشعر فحسب؛ بل كتبت القصة والرواية والمسرحية الشعرية والمقالات النقدية، وكتبت المقالات الصحفية في الافتتاحية الشهرية لمجلتها الأهداف، ونشأت في بيئة محافظة جدًا، متدينة جدًا، وكان مجرد نشر اسمها في مجلة إقليمية صغيرة يقيم شبه مناحة في المنزل، إذ كان ذلك في نظرهم خروجًا على التقاليد والأوضاع، ومدعاة إلى التشهير بسمعة العائلة بسببها، ولكن نالت من وراء ذلك من إيلام وإيذاء[1].

وقد فقدت جميلة أباها وهي طفلة تحبو، وعاشت مع أمها في كنف خالها، وقد يفسر هذا ارتباطها الشديد بأمها في حياتها، ووفائها لذكراها بعد مماتها، كما يعلل أيضًا إهمالها لصورة الأب في أدبها، وعلى الأقل حيادها السلبي تجاهه.

وبدأت جميلة الاتصال بالمجلات الأدبية والثقافية، تراسلها وتبعث لها بإنتاجها الأدبي نثرًا وشعرًا بعيدًا عن أعين الرقباء من أهلها، وكانت دعوة أحمد زكي أبو شادي لها لنشر إنتاجها عبر صفحات (أبولو) بداية لانطلاقها الشعري، وإحلالها موقعًا متميزًا على الساحة الأدبية النسوية خاصة، والأدبية عامة، كما اتصلت "جميلة" في أوائل حياتها بزعيمة النهضة النسائية هدى هانم شعراوي، التي دعتها للكتابة في مجلتها "المصرية" بعد أن صورت جميلة دعوة هدى هانم للارتقاء بالمرأة العربية والمصرية في إحدى قصائدها، وكان لهدى شعراوي دور كبير في تعرف جميلة على أعلام العصر من أدباء وشعراء مثل: أحمد محرم ومختار الوكيل، وغيرهم ممن كانوا يختلفون إلى صالونها[٢]، وتأثر جميلة بهدى شعراوي هو الذي دفعها لخوض المعارك الاجتماعية والوطنية في الوقت الذي انتشر فيه إنتاجها الأدبي، فكونت جمعية من المتطوعات للدفاع المدني، ودراسة الإسعافات اللازمة وقت الحرب.

وقد لمحت هدى شعراوي في جميلة روح الزعامة، واعتبرتها ملهمة وشاعرة ومفكرة قوية، وهي عوامل تهيئ لصاحبتها زعامة ناجحة، ولعل تأثرها بـــ"هدى شعراوي" بدا جليًا في الجمعيات الأدبية التي أقدمت جميلة على إنشائها لاحقًا مثل: دار نشر الثقافة، وجامعة أدباء العروبة، وجامعة الفكر العربي، ومجمع الأدب العربي، صالون "جميلة"، تعرفت جميلة في زيارتها لـــ(مي) على عدد من أعلام العصر منهم: لطفي السيد، والعقاد، وسلامة موسى، والشيخ مصطفى عبد الرازق.

وفي صالون هدى هانم شعراوي رأت جميلة كثيرًا من الشعراء وأصبح لها صالونها الأدبي الخاص، وكان منتدى أدبيًا لأعضاء جمعيتها مجمع الأدب العربي، كما كانت مجلتها (الأهداف) منبرًا لنشر هؤلاء الأعضاء، وتشجيع هواة الأدب والشعر في مصر والعالم العربي بعمل مهرجانات أدبية ومسابقات.

تعترف جميلة أنها لم تحب زوجها من قبل الزواج هذا الحب العاصف المتوهج، إنها أحبته لما يحمله قلبه من قيم خُلقية، وما تحمله روحه من أضواء دينية، وما تحمله نفسه من حب للإنسانية، وأنها استشعرت بعد زواجه أنه جدير بحبها الذي يتنامى يومًا بعد يوم، ليشمل كل ما يحمله الحب من معانٍ نفيسة غالية[٣]، فهي تجيد عزف الموسيقى وتذوقها، كما أنها فنانة ترسم لوحات بارعة، فتذكر أن أول لوحة رسمتها كانت كوخًا وقلبًا عبرت فيها عما تنشده في حياتها، فالكوخ يمثل بيتها، والقلب يرمز إلى زوجها، وقد تحققت اللوحة الحُلم، كما أنها كانت بارعة التطريز.

وكانت "جميلة" تتعدد مواهبها الفنية بالرعاية، فتعمل على صقلها بمراجعة لبارعين في كل فن، فقد تعلمت الموسيقى على يد الموسيقار أمين فهمي، بالإسكندرية حتى راضتها وقدمت له كتابه: "أصول الموسيقى العربية" وساعدها "حسن كامل" الفنان السكندري في تنمية موهبتها الفنية في الرسم، وليس هذا فحسب، فلها إسهاماتها في عدد من الإذاعات العربية التي قدمت بها أحاديث أدبية متنوعة بعضها شعرية، وأحياناً قصة نسوية موجهه في ركن المرأة، ومن هذه الإذاعات العربية: (باب الساهرة – القدس) واستديوهات السيد بدير بوكالة محطة الشرق الأدنى والإذاعة المصرية (البرامج الثقافية)، فمنذ طفولتها وهي محِبة للقراءة والاطلاع، ففي بيت خالها التهمت معظم الكتب التي تضمنتها مكتبته، وطالعت مقالات (مي) في الأهرام، وذلك في سني عمرها الأولى بمرحلتها الابتدائية، وكانت جميلة على اطلاع واسع بعلم الاجتماع وكتب التصوف الذي تمثلته في حياتها على أثر قراءتها "الغزالي" فضلًا عن الجوانب الأدبية المختلفة وإلمامها بالقضايا[٤]، ومن الدواوين الشعرية:

١– ديوان صدى أحلامي عام ١٩٣٦م.
٢– ديوان صدى إيماني عام ١٩٧٦م.
٣– ديوان نبضات شاعرة عام ١٩٨١م[٥].

ولقد قمت بعمل بحثي هذا عن شعر الرثاء عند جميلة العلايلي أو عائلة أدبية (آباء – أزواج – إخوة) تدفعها للظهور، والانطلاق مثل كثيرات غيرها، فلم تكن من بين هؤلاء الذين دفع بهم الإرث لعائلاتهم نحو الإبداع والنبوغ، فقد خطت طريقها غير متكئة إلا على موهبتها، وتشجيع الأدباء والنقاد لها.

وقد كانت شاعرتنا ملء السمع والبصر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، حيث كانت صوتاً فاعلًا للحركة الأدبية والشعرية – النسوية خاصة – كما كانت رائدة بارزة في جماعة (أبوللو) الشعرية التي تزعمها أحمد زكي أبو شادي والتي تقف كأحد أبرز الاتجاهات الرومانسية في العصر الحديث.

ولقد خططت لدراستي للبحث في مقدمة، وثلاثة مباحث:

١– **المبحث الأول:** رثاء الزعماء والسياسيين.
٢– **المبحث الثاني:** رثاء أعلام الأدب والفن.
٣– **المبحث الثالث:** الرثاء الأسري.
٤– **خاتمة**، ثم قائمة المصادر والمراجع، وفهرس للبحث.

- **ففي المقدمة:** أتحدث عن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع وأهميته، وعن الشاعرة ومكانتها وشعرها الذي يستحق الدراسة ودورها الكبير في معالجة قضايا المجتمع.
- وفي المبحث الأول: رثاء الزعماء والسياسيين. أتحدث فيه عن رثاء الشاعرة لهم والأثر المؤلم الذي يتركه رحيل الزعماء والسياسيين في وجدان الشعوب المُحِبة لهم.
- وفي المبحث الثاني: رثاء أعلام الأدب والفن. أتحدث فيه عن هول وعظم

الفجيعة بموت هؤلاء الأعلام الذين رثتهم الشاعرة.

- وفي المبحث الثالث: الرثاء الأسري. أتحدث فيه عن الرثاء الأسري وأثره المؤلم والفراق لرحيل الأم والأب والأخوة والزوج.
- ثم كانت خاتمة البحث وما تضمنته من النتائج، وأهم المصادر والمراجع ثم الفهرس.

المبحث الأول :رثاء الزعماء والسياسيين

يمتاز شعر الرثاء قديمًا وحديثًا بقدرته على إثارة الكوامن وتحريك عاطفة الحزن الملتاعة الصادقة مع استحضار المعاني والصفات الجليلة المتوافرة في شخصية المرثي، وظروف حياته وسيرته، وأحيانًا يتجاوز ذلك بالتأمل في حكمة الموت والحياة وتفسير فلسفتها المعقدة(٦).

"وشعر الرثاء أساسه الوفاء أو السجية، إذ يقضي الشاعر بقوله حقوقًا سلفت، أو يرسل تعدادًا لمآثر الأهل. أما أن يُقال على الرغبة فلا. وهم يجمعون في رثائهم بين التفجع والأسف والتلهف والاستعظام"(٧).

وينتقل بنا الرثاء إلى عالم الحقيقة والجد، بعيدًا عن عالم الهزل والباطل واللهو، متخذًا من الموت أسباب العظة والعبرة يعرضها على الأحياء مرشدًا منبهًا. وفي الرثاء تخليد للميت واستنفار لبواعث الجد في الحي ليحظى بذكرى صالحة تكون عمره الثاني(٨).

ويرجح "بروكلمان"(٩) أن تكون المرثية نشأت نشأتها الأولى من ندب النوائح المجرد من القوالب، وهذا يفسر توفر النساء عليه وتعهدهم له، وبلوغهم في ذلك أقصى مراتب الشهرة؛ فالخنساء أعلاهن ذكرًا في هذا الباب، رثت أخويها: معاوية وصخرًا، كما رثت أباها، فأسرفت في بكائهم أحر البكاء.

ولعل طبيعة المرأة التي تُستثار عاطفيًا للأحداث والنوائب خاصة أمام صدمة الموت، هي التي جعلت معظم مؤرخي الأدب يوقفون مجال المرأة الفني في الشعر على الرثاء دون الاهتمام بغيره وهذا ما دفع ابن سلام في: (طبقات فحول الشعراء) لأن يضع "الخنساء" ضمن طبقة أصحاب المراثي(١٠)، وتبعه في ذلك قدامى ومحدثون، منهم: "البحتري" الذي أفرد في آخر حماسته، بابًا ضمنه مختار أشعار لجماعة من النساء في المراثي وقد قدم فيه البحتري مراثي لعشر شعراء(١١).

ولم تخرج ضروب المراثي العربية عن أربعة أضرب(١٢):

١- التفجع والتوجع والبكاء والأنين، خاصة إذا كان بين الشاعر والمتوفى صلة مودة ومحبة وعلاقات خاصة.
٢- الإشادة بمآثر الميت والتنويه بمناقبه، إذا كان من كبار الساسة أو المجاهدين الأحرار، أو المناضلين لتحرير الأوطان، أو من زعماء الإصلاح، أو من الكُتاب والشعراء والفنانين.
٣- التعزية وتحبيب الصبر لمن فقد عزيزًا.

٤- الحكمة المتصلة بخداع الحياة وأباطيلها.

وسأحاول في هذه الصفحات تلمس هذه الأضرب في شعر الرثاء عن جميلة العلايلي، وقبل ذلك أود أن أنوه بملاحظة حول مصادر شعر الرثاء عند "جميلة":

١- لا توجد في دواوين "جميلة" المطبوعة (صدى أحلامي، صدى إيماني، نبضات شاعرة) أية قصائد تعالج غرض الرثاء، غير قصيدة: "وصيتي" التي عالجت بها ما يقترب من رثاء النفس.

٢- نشرت "جميلة" بعض قصائد الرثاء لأفراد عائلتها، وبعض الزعماء السياسيين في مجلتها "الأهداف" وفي مجلة "الثقافة".

٣- ضم ديوانها المخطوط "آخر المطاف" عددًا من قصائد الرثاء لأعلام الأدب والفن، مثل: أحمد زكي أبو شادي، وزكي مبارك، وإبراهيم ناجي، وأم كلثوم، فضلًا عن بعض القصائد في رثاء زوجها وإخوتها وأمها، نُشر معظمها في مجلتها (الأهداف) ومجلة الثقافة.

٤- لدى الشاعرة (كراسة) مخطوطة تضم بعض المراثي لأهلها مشفوعة بتاريخ الوفاة تحديدًا (باليوم والساعة)، وبعض هذه المراثي منشورة.

والذي يلفت النظر في مراثيها التي لم تُنشر في ديوان أو مجلة هو اختلال الوزن في بعض أبياتها، واضطراب القافية أحيانًا، وسأعرض لهذه الملاحظات خلال استعراضي لهذه المراثي، وسأنحو في استعراضي لهذه النماذج نحو الاتجاه من العام إلى الخاص، فأبدأ بمراثيها في الزعماء السياسيين والرؤساء، ثم أتبعها بالحديث عن مراثيها لأعلام الأدب والفن، ثم المراثي التي خصصتها لرثاء الأهل والأقارب، وصولًا إلى رثاء نفسها مع استشعارها بقرب حلول الأجل.

ويترك رحيل الزعماء السياسيين والرؤساء أثره المؤلم في وجدان الشعوب المحبة لهم، وهذا الرحيل – المباغت دائمًا – يصيب القلوب بهزات عنيفة وصادمة أحيانًا، خاصة إذا كانت شخصية المرثي من الشخصيات (الكارزمية) التي تهفو الأفئدة وتتجمع القلوب حولها.

ومن هذا النوع من الرثاء عند "جميلة" لا نظفر بغير نموذجين: الأول في رثاء: "عبد الناصر" والثاني في رثاء: "السادات".

١- رثاء الرئيس جمال عبد الناصر:

لا يخفى علينا ما كان يتمتع به "عبد الناصر" من حضور بارز في عالمنا العربي والإسلامي، ومساندته لمعظم حركات التحرر الساعية لاستقلال شعوبها، مع سعيه الدؤوب لإعلان مشاعر القومية والوحدة العربية، مما هيأه لأن يصبح زعيمًا قوميًا في عالمنا العربي والإسلامي.

ومن هذا المنطلق صدر رثاء "جميلة" للزعيم "جمال عبد الناصر" فجعلت عنوان قصيدتها: "لا تحسبوه راحلًا" وألقتها في حفل التأبين الذي أقامه مجمع الأدب العربي الذي

كانت تترأسه بمناسبة ذكرى مرور (الأربعين) على رحيله. وفي هذه القصيدة تستحضر "جميلة" معظم الصور التي تنفي فيها غياب "جمال" فرغم أنه قد قُبر فإن حضوره ماثل في ذكرانا، متجدد في أذهاننا، فليست غيبته سوى أمر عارض يؤدي فيه مهمة وطنية لصالح الوطن يعود بعدها لتجدوه في كل مظاهر الحضارة والحياة في مصر، تقول "جميلة" فر رثائها لـــــ "عبد الناصر":

طفتم هنا بالمقبرة وجمال ملء القاهرة
لا تفزعوا لفراقه إنا لنلمس حاضره
من قال "ناصر" قد مضى هو ماثل في الذاكرة
ويطوف دومًا في الجوا نح وهو نور الخاطرة
لا تحسبوه راحلًا هي رحلة بالطائرة
يجتاز آفاق الدنا ليصون مصر الساهرة
لا تحسبوه غائبًا هو قائد للباخرة
فيحوم حول بحارنا ليصد عنا الغادرة(١٣)

وحضوره هذا تلمسونه في هذا الزحام، وتلك الشعوب التي تهدر لتحقق حريتها، فأنفاسه أنسام تجفف دمع "مصر" وكلامه وحي يتنزل من سمائنا:

بين الزحام ترونه بين الشعوب الهادرة
أنفاسه نسمًا يخفف دمع مصر الثائرة
وكلامه وحيًا تنزل من سماء غامرة
لا تحسبوه ذاهبًا وله الجيوش العابرة(١٤)

وجمال حاضر في جو مصر، وبرها، وبحرها، بل هو حاضر في وجدان الشعوب العربية جميعها، فمازالت خطبه الرنانة تستثير الجموع، وتستحث الشعوب لنيل حريتها، فهو رمز للعروبة كلها، كم أزاح جور الاستعمار، وكم ناصر شعوبًا، فحدى به أن يسكن قلب كل مواطن تسري في جسده دماء الطهر والعزة والكرامة:

هو للعروبة درعها إن داهمتها الماكرة
إن لاح شعب ثائر فهو المضيء شعائره
كم بدد الحلك الكثيـ ف وكم أزاح ستائره
هو للعروبة حصنها ولكل الشعوب ناصره
ولكل بيت كنزه يملا حياض ذخائره
في قلب كل مواطن تسري دماهُ الطاهرة(١٥)

وفي صورة قديمة جديدة موجزة شبيهة بما كان يصنعه الشعراء القدامى من اقتران التعزية والرثاء للخلفاء بالتهنئة للخليفة الجديد بتولي العرش، وهذا كما يُقال من أصعب الرثاء لصعوبة التخلص بين غرضين متنافرين، وهذا التخلص يعبر عن مقدرة فائقة للشاعر، وقريب من هذا ما فعلته "جميلة" في رثائها لـــــ "عبد الناصر" فبعد أن قدمت واجب العزاء في الفقيد، أجملت صفاته العديدة التي منحته هالة الزعامة، و"الكاريزما" فاستحال "أسطورة" قلما يجودُ بها الزمان.

وتخلصت "جميلة" في لفتة ذكية لتعلن ولاءها وولاء الشعب لمن سيخلفه ليواصل المسيرة:

هو في الورى أسطورة عاشت وكانت نادرة
سنسير خلف صفيه تحت السماء الماطرة(١٦)

وفي رثائها لعبد الناصر نلمح العزاء، والدعوة للتصبر والاحتمال، والبعد عن التفجع والتحسر المباشر، فتعدد المآثر، والعطاءات التي

خلفها الراحل، وأثرها في شعبه، والتركيز على أن مفارقة الجسد لدنيانا ليست رحيلًا، مادامت آثاره وأفكاره ومبادئه مازالت حية في وجدان الشعب، ثم تتهيأ للانتقال لمبايعة خلفه مطمئنة روح الفقيد أن وليه على قدر المسئولية، وتولي القيادة لاستكمال المسيرة.

٢-رثاء الرئيس أنور السادات:

لما اغتيل "السادات" في حادثة المنصة الشهيرة، رثته "جميلة" بقصيدة عنوانها: (شهيد العروبة والإسلام)، وقد بدأتها "جميلة" بالدعاء له بسُقيا الشهد، وسُكنى الخلد نعيمًا، ثم تحولت إلى ذكر مشاعر الحزن التي آلمتها، وآلمت الشعب جميعه لفراقه، لكنها تصدر في هذه المشاعر الحزينة عن نفس راضية بقضاء الله، فلا سُخط، ولا جزع، وإنما هو التسليم لقدر الله فتقول "جميلة" فر رثائها:

سقاك الله شهد الأولينا

وأسكن روحك الخلد الأمينا

حزنا للفراق، وكان صعبًا

علينا، كيف لا؟ لكن رضينا[١٧]

وتنطلق "جميلة" في رثائها معددة مآثره وأفضاله على مصر والعروبة، وشجاعته التي لم ترهبها تهاويل الأعادي، فكانت حصنًا للأوطان، ودرعًا لأمنها:

أعدتم للعروبة مبتغاها

وهيأتم لها الأمن المبينا

مآثرك العظيمة قد تجلت

وأذهلت العوالم والقرونا

ولم تأبه لتهويل الأعادي

وكنت الحزم رغم الكائدينا[١٨]

فهل مثل من يتمتع بمحاسنه يُنسى؟!! كلا، فأفعاله الجليلة جديرة بأن تُذكر مدى السنين، وآثاره بعيدة الغور في أعماق الشعب:

فلن ننساك رائدنا المفدى

ولن ننساك قائدنا الحنونا

أننسى منكمو حُبًا عميقًا

أننسى دفاعكم عن شعب سينا

أننسى منكمو جهدًا تجلى

وكم سامحت حقد الحاقدينا

وتنأى عن أناس قد تمادت

وظنت في نواياك الظنونا

رفعت لمصر ألوية الأماني

وكنت شعارها هادي المؤمنين[١٩]

وكما فعلت في رثائها لعبد الناصر، تختتم رثائها للسادات بالدعاء لروحه أن تقر وتنعم في جوار ربها، فخليفته قادر على تحمل أعباء البلاد، ومسئولية حماية الوطن. وهي تتخلص هنا من التعزية إلى التهنئة، ولكن في استحياء يناسب جلال موقف الرثاء، فتقول:

فنم، إنا هنا، نحن السهارى

و"حسني" قادر يحمي العرينا

خليفك للأمانة خير راع

يكفكف دمعنا رغم الأنينا[٢٠]

وتجمع "جميلة" في رثائها للزعيمين عبد الناصر والسادات بين "التأبين" بذكر محاسنهما، وبين العزاء للشعب في مصابه، ودعوته للتصبر، وتجاوز الأحزان، واستشراف المستقبل

بالوقوف خلف من يتبعهم لاستكمال المسيرة على النهج ذاته الذي تبعوه.

المبحث الثاني: رثاء أعلام الأدب والفن

كانت "جميلة" موصولة الأسباب بعدد من أعلام الأدب والفن في عصرها، وقد كان لهؤلاء الأعلام أيادٍ غير منكورة أسهمت في انطلاقتها الأدبية، فهي مدينة لهم بالفضل، وجميل العرفان. وقد خلفت حوادث رحيلهم في نفسها الصافية آلامًا وأحزانًا، وإن لم تفصح عنها في شعرها إلا بعد مرور فترة طويلة على رحيلهم، كانت بالنسبة لها بمثابة اجترار ذكريات الماضي الجميل.

ومن بين هؤلاء الأعلام الذين رثتهم: رائد أبولو الدكتور/ أحمد زكي أبو شادي، والدكتور/ زكي مبارك، والدكتور/ إبراهيم ناجي، والفنانة/ أم كلثوم.

وهذه المراثي لم تسجلها في أي من دواوينها الثلاثة المطبوعة، وكذلك لم تنشرها في أي مجلة أدبية أو ثقافية، أو حتى مجلتها (الأهداف) حسب استقصائي للمنشور من أشعارها وإنما أودعت هذه المراثي ديوانها الأخير المخطوط (آخر المطاف) الذي جمعت قصائده عام ١٩٨٩م أي قبل وفاتها بعامين، تشير إلى ذلك تواريخ الأجندة التي سجلت فيها ديوانها هذا.

وقد أشارت "جميلة" في صدر قصائد الرثاء التي كتبتها إلى أنها سجلت مراثيها تخليدًا لهم ووفاءًا لذكراهم، وهذا يفسر تأخير كتابة هذه المراثي بأنه محاولة لاجترار ذكريات الماضي الذي شهد ألقها الفني والأدبي، والذي كان الراحلون بعض صُناعه، فبرحيلهم استولت عليها الوحدة، وعانت خمود الذكر من قبل الدارسين والنقاد، فأحست بالجحود والنكران في أشد صوره ألمًا، فلم تجد غير اللجوء لذكريات الراحلين تعالجها في ثوب الرثاء الذي يتضمن معنى الوفاء لذكراهم(٢١).

ملاحظة ثانية تستدعيها هذه المراثي، وهي أن بعضها يصيبه خلل في الوزن والقافية، وأحيانًا اللغة، ونلمح فيها هبوط مستواها الفني عن أشعارها الأولى أو مراثيها الأخرى في الزعماء والأقارب. وقد نلتمس تعليلًا لهذا الضعف بأن الشاعرة كانت قد تخطت الثمانين من عمرها، كما كانت حالتها الصحية تشهد اضطرابًا، أثر بدوره على ذائقتها الشعرية، ومشاعرها النفسية، وإن تشبثت بالكتابة حتى آخر لحظات عمرها إثباتًا للوجود، فضلًا عن أن هذه المراثي المخطوطة أقرب للمسودات غير النهائية حيث تشهد بعض أبياتها تعديلات في بعض الألفاظ.

١- رثاء رائد أبوللو "أحمد زكي أبو شادي":

كتبت "جميلة" مقدمة نثرية لمرثيتها في "أبي شادي"، اعترفت فيه بأستاذيته، وبأنه مثلها الأعلى فقالت: رثاء الشعر العربي الحديث، ومؤسس جماعة أبوللو، وأستاذي، ومثلي الأعلى المرحوم الدكتور/ أحمد زكي أبو شادي، أسكنه الله فسيح جناته، وقد بدأت مرثيتها التي جعلت عنوانها: "رائد أبوللو" بالوفاء لذكراه العطرة، فتقول:

سأذكر ما حييت، وكيف أنسى

مشاعر من يمس القلب مسا[٢٢]

ثم تتحدث عن آثاره في دنيا الأدب، وتشجيعه الناشئة من الأدباء، وإشاعته الحب، وإخلاصه للشعر حتى ملك زمامه، فتقول:

لأن الله هيأه رسولًا

يخاطب روحنا جهرًا وهمسا

وشاعر يملأ الدنيا ضياء

يشيع الحب إحساسًا وأنسا

وإني حين أرثيه بحبي

فحبي من هواه صدى وقبسا

فيا شادي ملكت زمام شعر

جعلت الشعر إيمانًا وقدسا

سلكت مع الشباب طريق وعر

لترفع شأنهم بالشعر رأسا[٢٣]

ثم تتحدث عن الأثر الروحي الذي خلفه في نفسها، بأن شجعها لارتقاء سلم المجد الأدبي، فهي وفية لما قدم لها، فإحسانه لا يُنسى ولا يضيع مدى الأيام:

جذبت بروحك الشفاف روحي

وكنت لقلبي إلهامًا وشمسا

وكنت لعقلي نبراسا عليًا

فحفزني لغرس المجد غرسا

وما ضاعت يد الإحسان عندي

فإن ضاعت لعمرك كيف أنسى؟[٢٤]

وكما نلحظ فإن معظم أبيات هذه المرثية تتسم بضعفها الفني، ونلمح فيها مغالبة نفسها على الكتابة، وغير هذه الأبيات مما لم أذكره مهلهل النسج بادي الصنعه يميل إلى الركاكة، لأنها – حسب ظني – لم تصدر عن طبع أصيل، بل وردت محاكاة لقصيدة أخرى كان قد امتدحها بها الدكتور/ سعيد محمد أبو بكر، بعث بها إليها في مجمع الأدب العربي الذي كانت تترأسه، وقد نشرتها "جميلة" في نهاية ديوانها: "صدى إيماني".

وقد استعارت "جميلة" قالب قصيدة الدكتور/ أبي بكر ومعظم ألفاظها، وتراكيبها، ونسجت على منوالها مرثيتها لأبي شادي، فأحالت ما امتدحت به إلى رثاء، وأبيات "أبي بكر" في قصيدته المناظرة كالآتي:

سأذكرك ما حييت وكيف أنسى

مشاعر من تمس القلب مسا

فإن الله صورها ملاكًا

يلاطف روحنا جهرًا وهمسا

وبدرًا يملأ الدنيا ضياء

وتحنانا وإحسانًا وأنسا

وباحثة تهاب الله حقًا

تكرس نفسها للخير رأسا

دعيني أصعد الشعرى بشعر

يضيء بقوة الإيمان شمسا

لقد أذكى بيانك نار سعيي

وحفزني لغرس المجد غرسًا

وما ضاعت يد الإحسان عندي

فإن ضاعت لعمرك كيف تنسى[٢٥]

ومع إن هذه الأبيات من قصيدة: "سعيد أبي بكر" لم أراع في ترتيبها، فهناك ثمة أبيات تتخلل هذه الأبيات، إلا أننا نلمح هنا صدق الطبع والشعور، في الوقت الذي يطالعنا فيه الشعور

المستعار في أبيات "جميلة" وكان الأولى بها أن تنحت مرثيتها من دفق وجدانها، دون الاتكاء على قوالب الآخرين لتضمن لنفسها القدرة على التأثير بما يتناسب مع القامة التي ترثيها.

وقد يبرر مسلكها – كما سبق أن أوضحت – بتقدمها في السن، وتأبى القريحة التي لم تستجب لوهن الجسد وضعف الهمة.

٢-رثاء الدكتور/ زكي مبارك:

تجد "جميلة" نفسها في حيرة من أمرها وهي مقدمة على رثاء الدكتور زكي مبارك، فلا تجد أبلغ من عبارة (ماذا أقول؟) لتجعلها عنواناً لمرثيتها، فكم من السعي والحصر أصابها، وهي تتناول في رثائها شخصية ثرة الجوانب، رحبة، ربطته بها قصة حب أودعها "رسائل مجنون سعاد" التي نشرتها مجلة الصباح خلال السنوات (١٩٣٨-١٩٤٢م) وأعادت ابنته نشرها مجتمعة في كتاب بالعنوان ذاته[٢٦].

وقد عبرت "جميلة" في مرثيتها عن هول الخطب، وعِظم الفجيعة التي حلت بموته، وأذهلت كل محبيه وعارفي قدره، فكم حنت المحافل لصوته الجريء الناقد، ومعاركه الأدبية اللاهبة، وكم من المآثر تحفظها له الشعوب التي زارها، والتلامذة الذين احتواهم بعلمه، فتقول:

يا حر فقدك قد أقض مضاجعًا

لاسيما من أكبرته عباقر

فلك المآثر في الشعوب عظيمة

فبكت عليك تلامذ وعشائر

حنت محافلنا لصوتك ناقدًا

ولكم تحن إلى الذكي منائر

إنا نراك بأفقنا وحي الألى

فوق الزمان، وللزمان نساير[٢٧]

وهول فقده لم يبك تلامذته، ولا المحافل والشعوب التي افتقدته أديبًا حرًا فحسب؛ بل أبكت الصخر الأصم فهزت مشاعره فداحة الخطب. ثم انتقلت "جميلة" إلى الحديث عن الجحود الذي ناله والغبن الذي لحقه في دنياه، فلم يؤت ما يستحق من منصب، وسلطان يليق بمعارفه، وعمله، حيث حصل على ثلاث شهادات للدكتوراه، وكان يتهيأ للحصول على الدكتوراه الرابعة، وحالت منيته دون ذلك، وفي ذلك تقول:

أبكيت جلمود الصخور كأنما

بعض الحجارة بالخطوب شواعر

ولقد صبرت على الجحود بحكمة

وسموت بالأدب الأصيل الثائر[٢٨]

وتشير إلى قصة حبه لها في بيت تسكب فيه آهة التحسر على أيام شهدت تدلهه في حبها، وجنونه بها، وذلك في بيت لم يسلم من اختلال الوزن:

أه، ماذا أقول لمن تجلى حبه

وحبيبه نائي، وحبه سافر[٢٩]

ولما كانت طموحاته لا تقف عند حد، وقد حالت عراقيل دون تحقيق معظمها، فليس أمامها سوى أن تدعو روحه للصبر والتأسي، فمن منا نال ما يتمناه؟!!

من ذا الذي نال الأماني كلها

إن الأماني للعقول سواحر[٣٠]

وتقع "جميلة" في رثائها على جوانب من سيرة الراحل، وقد كانت رحلاته زادًا خصبًا

لاستكشاف الشعوب التي زارها والبحث في مجتمعاتها، ومع ذلك فقد حُرم ما اشتهاه:

كان ارتحالك يا زكي وسيلة

للكشف عما قد طوته سرائر

ولقد حُرمت مدى الحياة كل ما

رام الفؤاد، وكان دومًا هاذر(٣١)

ولن ينال مبتغاه إلا في جنان الخلد التي فيها كل ما يشتهيه الصابرون:

فأنعم هناك بكل ما ملأت جنا

ن الخلد مما يشتهيه الصابر(٣٢)

٣-رثاء شاعر الحب "إبراهيم ناجي":

ركزت "جميلة" في رثائها للدكتور/ إبراهيم ناجي على الملمح الأزهى في شعره، وهو التغني بالحب، ومخاطبة المشاعر والأحاسيس، حتى دانت له الأشعار، فيقول:

دانت له الأشعار في ساحاتها

لولائه في الحب فهو السيد

يا ملهم الحب الذي نفحاته

من قلب ناجي للإله يمجد

سجلت من صدق العواطف قمة

فاهنأ بشعرك – ناجي – أنت مخلد

لم يشك الحب العفيف، وما به

بل كنت للمضني شقاء يسعد

ولطالما ضحيت من مال لمن

لم يلق (من) حان يمد له اليد(٣٣)

ولا تختلف أبياتها في رثاء (ناجي) عن المدحة، ولا يصرف هذه الأبيات للرثاء سوى مفتتح القصيدة الذي تطلب فيه من سامعها أن يدعها تتفرغ لرثائه كما تشاء، فقد كان ناجي موردًا للحب العظيم المقدس!.

٤-رثاء الفنانة أم كلثوم:

تؤكد "جميلة" في رثائها لأم كلثوم على أصالة صوتها وجماله الذي شنف الأسماع وأذهل الألباب بسحره، حتى سحر نفوس الجن والملائكة وتشبهها بـ"رابعة العدوية" التي تقمصت أم كلثوم دورها في أحد الأفلام، فهي مثالها في الطهر والنقاء، لذا ستظل ذكراها عالقة بوجدان محبيها لا ترحل، وهي بما قدمت من فن أسعد كثيرين حرية أن تسكن الخلد وتهنأ فيه، وبهذا الدعاء تختم "جميلة" مرثيتها، وفيها تتساءل:

أو تحرم الدنيا من هذا الصوت الذي

قد عطر الدنيا بطيب شذاك

هذي جوانحنا إليك تلهفت

وقلوبنا تصغى إلى مغناك

أرسلت صوتك متعة وسعادة

سحرت نفوس الجن والأملاك

فيك الطهارة والنقاء سجية

أشبهت من عرفوا من النُّسَّاكِ

شابهت "رابعة" التي مثلتها

في طهر أخلاق وفي تقواكِ

في النبل والإحسان في أوصافها

في كل ما ترضى به عيناكِ

يا من رحلت، ولا يزال بأرضنا

وبكل قلب ها هنا ذكراكِ

الفضل فضلك في الحياة بأسرها

فلتهنئي بالخلد في مثواكِ(٣٤)

المبحث الثالث :الرثاء الأسري

١-رثاء أمها: "زينب حسين صقر"

ارتبطت "جميلة" منذ صغرها بأمها الرؤوم، فلم تذق حدب الأبوة وحنانها، إذ رحل والدها عن دنياها وهي طفلة تحبو، فازدادت تعلقًا بأمها، فلم تكن تقوى على فراقها وإن اضطرتها الحياة – كالعمل أو الزواج – لفراقها، فكانت تألم أشد الألم لهذا الفراق.

وقد يسهم كل هذا في إدراكنا لقدر الألم، وعِظم المصيبة التي خلفها موت أمها في نفسها، فأسرفت في البكاء عليها والتحسر والتفجع حتى خُشي عليها الهلاك، فلم تزدد إلا جزعًا لم ينفع معه الصبر. ولا تكتفي في رثائها بذكر محاسن أمها وعطفها وبرها، وأثر ذلك في نفسها، وإنما ترى أن بموتها أعتمت الدنيا، وتجللت بالسواد. وقد اشتبهت عليها السبا، ففجرها ليس كفجر الناس، ففجر الناس مبيض وفجرها مغبر أسود، ولا تملك إلا أن تتوجه في مرثيتها الرائعة لأمها إلى ربها بالشكوى مما دهاها بعد فقدها، فتقول:

إلى الله فقد الأم أشكو، وما أدري
من الحزن هل أخطو إلى حفرة القبر
حزينة قلب لم يعد لي مرتع
أقلب طرفي والدموع سرت تجري
أقلب عيني في الفضاء وأنثني
أسائل ربي: أين مؤنسة العمر؟
فيا ويح عيني كم تلاقي من النوى
ويا ويح قلبي كم يلاقي من الهجر
عذاب عليّ بُعد المزار، وقربه
ويثم وفقدان لأنسي وللخير[٣٥]

وهذا التفجع، وهذه الحُرقة في بكائها الطويل تبررها "جميلة" بأن أمها كانت لها بمثابة البدر الذي ينير الظلمة، لذا ستواصل سكب الدموع، ولن تكف عن البكاء، فتقول:

سأبكي طويلًا في التيقظ والكرى
وأذرف دمعي في الأصيل وفي الفجر
وما لي لا أبكي وفي القلب حسرة
وفي الدهن آلام ترف على الصدر
لقد غاب بدر كان نور ضيائه
يلازمني إن كنت في السهل والوعر
وكم سرت في الليل المخيف لقفره
فإن غاب بدر كانت به بدري[٣٦]

وقد لازمتها الحيرة بعد فقد أمها، فاختلط عليها الروض والقفر، والفجر والليل، حتى ألقت نفسها الحزينة على الطبيعة ظلًا لاسوداد مما وقر في وجدانها الأليم:

أخبط في الظلماء بعد فراقها
شبيهُ لدى الليل أو مطلع الفجر
وأقطع وحدي السير أسرى لسبلها
فسيان عندي القفر أو مورفُ الزهر
وأرقب نجم الليل على وميضه
يضيء لي السير القصير إلى القبر
وأمضي الليالي لا يطيب لي الكرى
فآه من الذكرى بداج من الفكر
ويقبل فجري في إهاب مُعبر
فللناس فجر من بياض، ولي فجري
ففجري كليلي في سواد إهابه
وآخر شهري كالوسيط من الشهر[٣٧]

ومهما حاول الناس أن يوصوها بالصبر، فإنها تسرف في الجزع، وبعد أن تهيم في القفار، وتجف دموع عينيها، تعود لتفتش عن الصبر فتجدهُ قد فاتها، فتتساءل: ما جدوى العيش إن خلا من الصبر؟!!

يقولون صبرًا، وليس صبري بنافعي
وهل بعد فقد الأم ينفعني صبري؟
لقد ضاع دمع العين في موجة الأسى
أهيم على وجهي وأضرب في القفر
أفتش عن صبر إذا الصبر فاتني
وما حاجتي في العيش إن يخل من صبر(٣٨)

غير أن جزعها لا يطول، فسرعان ما يؤوب إليها رشدها، فترضى بقضاء الله وحكمه النافذ، وتسرح بخواطرها متعمقة في فلسفة الموت:

فلم أر حكمًا كالمقادير نافذًا
ولم أر كالأحداث في شدة الأسر
فيظهر طورًا في نقاب بليةٍ
ويظهر أخرى في لهيب من الجمر
وما هو في الحالين إلا كعهده
يصول بأسياف المنية والبتر
إذا طويت بالموت منا صحيفة
طوى الدهر أسفار الحياة على الغدر(٣٩)

وتنتقل "جميلة" من حديثها عن فلسفة الموت واختصاره الأعمار دون تمهيد أو إنذار إلى تذكر فضائل أمها، وصنائع البر والمعروف التي كانت تؤديها فتقول:

ذكرتك يا أماه في موهن الدجى
ذكرت بك الخير المجمع في الطهر
ذكرت وفاء للإله وللورى
وبعدك عن إثم، وهجرك للشر
تقومين ليل الناس في غيهب الدجى
تُناجين رب الكون في السر والجهر(٤٠)

فأمها بما ملكت من بر وتقوى تُعد أولى الناس بأن يحتويها سفر للفضائل، وأن تُسجل في سطوره الأولى:

وأقسم يا أماه، بالله ربنا
لأنت جِماع الخير والحسن والبر
إذا كان سفر للفضائل كلها
فإنك أولى الناس يا أم في السفر
وإن جمعت تلك الشمائل كلها
حواها كتاب لا يريم على غدر
وقالوا: كتاب النور والطهر فاقرأوا
رأيت اسمك الأسنى على أول السطر(٤١)

وتنهي "جميلة" مرثيتها لأمها مستحثة الخطى للحاق بركبها، ومهما تأخرت عنها فإن المطايا سوف تسرع في الأثر، فكأنها تترصد رثاء نفسها، فتقول:

لئن كنت قد أخرت بعدك في الورى
فإن المطايا سوف تسرع في الأثر(٤٢)

ولم تكتف "جميلة" في رثاء أمها بهذه المرثية – على طولها – والتي يتضح فيها صدق شعورها الناضح ألمًا وحُرقة على فقد أمها الرؤوم، فقد كانت تتحين الفرص في الذكرى السنوية لوفاتها فتهدي إلى روحها قصيدة حزينة تبثها فيها آلام البعد والوحدة التي تستشعرها بغيابها، ولا تجد في عيد الأم هدية لها، سوى أبيات تبتهل فيها إلى ربها أن يرحم أمها، ويجعل سُكناها الجنة،

ويُنير قبرها، وتود في اشتياقها أن تنتقل إليها فتترحم على نفسها:

افتح اللهم قصرًا
في رياض الخُلد للأم التقية
واجعل الأفلاك أضوا
ء لها كل عشية
وابسط الرحمة للأم
وللروح الزكية
واهدها مني سلامًا
وصلاةً وتحية
رب واجعل قبرها نورًا
برحمتك السخية
قل لها: ترنو "جميلة"
فهي في الحب وفية
كل عام لها ذكرى
تُشعل النار الخفية
بِت أشتاق لقاها
رحمة الله إليَّ[٤٣]

وفي الذكرى الثانية لوفاتها تعيد نشر قصيدة كانت قد نشرتها في ديوانها: "صدى أحلامي" في حياة والدتها بعنوان: "هل تذكرين إلى الأخت الوفية) فتقوم بتغيير بعض ألفاظها لتناسب مقام الرحيل، وتجعل عنوانها: "إلى روح أمي الطائرة"، وفيها تقول:

هل تذكرين، وقد نعمنا في الليالي الخالدات
أشتاق من ينبوعك الدفاق أسرار الهبات
وأراك وحيًا يُلهم الشعر لروح الشاعرات
قسمًا بربك أنت رمز الزاهدات الطاهرات[٤٤]

ومهما مرت السنون فحبها لأمها، ووفاؤها لذكرى رحيلها عميق في وجدانها، ففي ذكرى رحيلها الحادية عشر تقتطع من مرثيتها الأولى أبياتًا، وتقدمها لأمها بعنوان: "إلى أمي"[٤٥] وتعدد مراثيها لأمها يشي بالمكانة السامقة التي احتلتها في وجدانها.

٢- رثاء أخيها الأكبر "محمد محمد العلايلي":

لم يكد يمر عامان على رحيل أمها حتى لحق بها أخوها الأكبر من الأب "محمد محمد العلايلي" والذي كانت تلتمس فيه العزاء بعد رحيل أمها الرؤوم، كما كانت ترى فيه نبعًا أبويًا فياضًا عوض فقدها لأبيها في مهد الطفولة، لذا فقد أضاف رحيله إليها آلامًا جديدة كانت ترجو البرء منها، فتتحدث في مقدمتها النثرية للقصيدة عن هذه الآلام قائلة: "وليته تخلى دون أن يجرحني من جديد جرحًا زاد وجيعتي وتحسري وآلامي، وحرماني من النبع الأبوي الذي يتجسم فيك، والذي أستقي منه بقدر ما أرجو... وكان حسبي في دنياي بعد أن نضب معين أمي الفياض"[٤٦]، وتخاطبه في مرثيتها قائلة:

شقيق الفؤادِ ولى العمر
أتاك القضاء سفير القدر
سقتك الحياة بكأس المنون
شراب الممات صباحًا غبر[٤٧]

ثم تعدد مآثره، وحدبه على أهله، ونقاء سريرته، ورعايته لليتامى، وجوده وكرمه، وتقديمه العون لكل محتاج، فتقول:

قضيت السنين تظل الأهالي
كشجر ظليل وفير الثمر

نقي الضمير مثال الضياء

شديد المراس بعيد النظر

وسيم المُحيا ضحوك الفؤادِ

سخي العطاء لكل البشر

وكم من ليالٍ قضيت تعاني

وفي الصبح تغدو كنفح الزهر(٤٨)

وتظل تعدد مآثره نافذة إلى شفافية روحه التي كانت تترصد الرحيل وكأنها تتكشف الغيب فتتساءل "جميلة":

أكنت تكاشف غيب السماء

عشية قلت تولي العمر(٤٩)

وتمعن في تساؤلاتها الفلسفية التي تستبهم أن تودع روحه طي الحفر، وهي كانت تُشبهه بشعلة عظيمة تمنح الضياء، وكيف يتوقف قلب طالما منح الحياة نبعًا فياضًا بالحب؟ إلا أن هذه الروح جديرة بأن تنعم برضوان الله ونعيمه:

أتطفأ شعلة روح عظيم

ويمسي الضياء رهين الحفر

ويخبو ضرام ويسكت قلب

هما للحياة كنبع الحجر

شقيق الفؤاد ولى العمر

نعمت بخلد المليك الأبر(٥٠)

٣-رثاء زوجها الصحفي "سيد محمد ندا":

يبدو أن المصائب توالي، آخذ بعضها بركاب بعض، فبعد رحيل أخيها بعامين فُجعت برحيل زوجها الأستاذ/ سيد ندا، فرثته بقصيدة نشرتها بمجلتها "الأهداف" العدد (٤)، ثم أعادت ضمها مجموعة المراثي في ديوانها المخطوط (آخر المطاف) وكتبتها أيضًا في مجموعة مخطوطة تضم بعض قصائد الرثاء، وأثبتت فيها تاريخ وفاته (منتصف ليلة الجمعة ١٦ أكتوبر ١٩٦٣م حوالي الساعة ١٢,٣٠ مساءًا).

وقد ذكرت "جميلة" في رثائها لزوجها الخلال نفسها التي رثت بها أخاها "محمد العلايلي" والقالب نفسه، ومع استعارة معظم ألفاظ مرثيتها لأخيها وتحوير بعضها بما يتوافق مع رثاء زوجها، فبدأتها بقولها:

قرين الفؤاد شريك العمر

أتاك الحمام وما من نذر

سقاك القضاء بكأس المنون

شراب الممات قبيل السحر(٥١)

ولا محل هنا -وفي مرثيتها لأخيها أيضًا- لأن يتبع كأس المنون بشراب الممات، حيث لم يضف جديدًا، فأي شراب تحمله المنون غير شراب الموت؟!!.

وتتابع "جميلة" سرد الصفات ذاتها (لقد كنت ضوءًا ينير الليالي- نقي الضمير- مثال الصفاء- شديد المراس- وسيم المُحيا- جميل السجايا- سخي العطاء...إلخ) وتختتمها بمثل صنيعها في مرثية أخيها بالتسليم بالقضاء والدعاء له:

دعاك الإله فلبيته

فنم في حمى مالك مقتدر(٥٢)

وفي مقطع صغير تعزي فيها نفسها، وتدعو ربها أن يلهمها الصبر وأن يخفف مصابها في زوجها وأن يرحمه، فهو من سلالة طاهرة تتصل بأصلاب الصالحين، فتقول تحت عنوان (مولاي):

مولاي أنت فجعتني
فارحم إلهي من فجعته
وسلبتني نبع الهنا
فاشدد إلهي من سلبته
وفتحت قلبي للأسى
يا طول همي بما بلوته
وتركتني نهب الضنى
فارحم حشاشة من تركته
وارحم قريني إنه
أنقى قرين قد خلقته
من نسل سبط المصطفى
يا رب فارحم من حبوته(٥٣)

وهذا التفجع والندب والبكاء لن يرده غير تسليمها بقضاء الله وإذعانها لمشيئته وهذا ما أدركته في مقطعها الصغير (ربي) الذي تنتظر فيه من ربها جزاء صبرها في جنان الخلد وفيها تقول:

مهما شقيت أنا بقلب الراضي
يا خالقي رحماك أنت القاضي
ولقد قضيت على فؤادي بالأسى
أنا في دناي أظهر الأعراض
إن كان قلبي قد تجهم وجهه
في الخلد سوف أنال كل تراضي(٥٤)

وما أن يمر العام على رحيله حتى تتجدد ذكراه، وتعيد رثاءه في ذكرى رحيله الأولى وقد منحها هذا العام فرصة للتدبر والتفكر في مشاعرها، والتعبير عنها بصورة قوية صادقة، توحي لقارئها أنها قيلت ساعة وفاته وليس بعدها بعام، وفيها تقول:

مضى يا قريني العام في الظلمات
يا من سكنت شواهق الجنات
كنت –والله– للخلود نشيدًا
عبقري الأداء والنغماتِ
كنت –والله– تستثير الأماني
من حنايا قلوبنا الخافقاتِ
قد فقدناك فاستزدنا شقاء
قبل كنا نتيه بالمكرمات
أعول الناس حين غبت عويلا
ما عرفناه قبل في المعولات(٥٥)

ولم يتوقف العويل والحزن على الناس، فالطبيعة شاركتهم حزنها فتباكت الطيور والنسيم لفقده:

وتباكى مع الطيور نسيم
راح يحكي أمثولة المعجزاتِ
تجتليها العيون سحرًا عجيبًا
وهو صبح الدجى وهدى السراة
وربيع الحنان للناس جمعًا
ينشر الطيب في جميع الجهات(٥٦)

وقد أنعم الله عليه بصفات جليلة من شباب وعزم وشهامة، ولم يفتها أن تتعرض لاشتغاله بالصحافة وعطائه لها. وختمت رثائها بأن جعلت مرثيتها باقة ورد وحب تقدمها لفقيدها الذي أقام مثل الحياة:

قد حباه الإله دينا ودنيا
وشبابًا ذا عزمة وثباتِ
صاغه الله للشهامة نبعًا
وحباه الإله سر الهباتِ
إنه شاد للصحافة مجدًا
يبعث الخير في القفار المواتِ
تلك باقة من ورد حب
لفقيٍ أقام مثل الحياة(٥٧)

وهذه المشاعر الحزينة التي عالجتها في مرثيتها لزوجها لم تكن موقوفة عليها، ففي ذكرى (الأربعين) لرحيله عبرت على لسان جلال، عن مشاعر فقده لأبيه، فقالت على لسان ولدها:

يا أبا قد جمل الله به
روضة البيت فوافاها الخريف
أيها المصباح كنا حوله
كفراش حام بالنور شغوف
أيها الأيك وكنا حوله
نسما في الأيك موصول الحفيف
يا أبي مازلت أدعو يا أبي
كنت في دنياي رفافًا تطوف[٥٨]

فقد خلف رحيله فتى محترق القلب محزونًا، إلا أن الدعاء لازمة تختم بها كل مراثيها، فها هو يدعو لوالده بأن ينعم بالخلد:

بعدك اليوم فتى محترق
ناضب الآمال محزون عزوف
أيها الروح المسجى بالرضا
ذق نعيم الخلد ما أشهى القطوف! [٥٩]

٤-رثاء أخيها: "رفعت العلايلي":

يبدو أن توالي الصدمات ومواكب رحيل الأحبة، ألقى في روعها أن تتعايش معها بنفس راضية جعلتها تبدأ مرثيتها لأخيها رفعت العلايلي، بتهنئته أن استراح من عناء الدنيا، ورحل إلى دار الخلد والهناء، فتقول تحت عنوان (يا أخي):

قد ضمك الخلد لما جئت واديه
وأنت روح لها أنشودة فيه
أنعم به واسترح بعد العناء وذق
فيه الهناءة وارتع في روابيه[٦٠]

وتحدد "جميلة" مكانته في أسرتها، فقد كان روحًا ترفرف عليها، ويفيء الجميع إلى ظلاله منعمين، لذا فالأسى الذي حمله قلبها لفراقه لا يُعد له عزاء، إلا انغماسه في نعيم الخلد، فهذا هو عزاؤها الوحيد:

قد كان في أسرتي (روضًا) يظللنا
ونستريح جميعًا في مغانيه
ما من عزاء أراه في فجيعتنا
والقلب بات غريقًا في مآسيه
وأنت في الخلد مشغول بموكبه
عن زخرف ملء هذي الأرض تحويه[٦١]

ثم تعلن رضاها بقضاء الله فلكل أجل كتاب. وكلنا يدركه الموت لا محاله:

وكل نفس لها يا رفعتي قدر
لكل ذي أجل لابد يأتيه[٦٢]

وفي تحسر وتفجع تخاطبه – مشيرة إلى أنه أخوها من الأم – متحدثة عن الذهول الذي أصابها بفراقه، وتعدد محاسنه في حب صادق عميق فكم ضحى لأسرته وكم رعى اليتامى، وكم أنفق في وجوه البر، فتقول:

يا توأم النفس يا ابن الأم أذهلنا
فراق من كان من أشراف واديه
أخي الحبيب وكم ضحى لأسرته
هذي مساعيه ما أوفى مساعيه!
كم لليتامى حنان من أبوته
هذي أياديه ما أندى أياديه
يا راعيًا كم سقى برًا رعيته
قد كنت كالمزن تروينا سواقيه[٦٣]

وتناديه نداء حب باسمه وبأخوته لها، لتقر بأنه وإن غاب عن ناظريها، فمكانه في سويداء قلبها:

يا رفعتي يا أخي إن غبت عن نظري

فأنت في القلب ترويه وتحييه(٦٤)

٥-رثاء أخيها: "أنور العلايلي":

يبدو أن "أنور" كان آخر إخوتها الذكور رحيلًا وقد تضمن ديوانها المخطوط: (آخر المطاف) قصيدة في رثائه عنوانها: (فجيعة على غير ارتقاب) أبدت فيها ذهولها من رحيله المفاجئ حتى كادت أن تكذب الخبر، فشرعت في سرد أقيسه عقلية في صورة أسئلة تحتج بها على غيبته، وهو الذي يملك كل هذا الطهر والصفاء والحب فتقول في رثائها له:

ينم عن الفجيعة دمع قلبي

ويأبى القلب تصديق العزاء

فكيف يموت روح من ضياء

أشاع الحب ترياق الهناء

مُحال أن يغيب وكان عطفًا

يبدد ما عرانا من شقاءِ

وكيف يغيب قلب من نقاءٍ

حباه الله طهر الأتقياءِ(٦٥)

وبعض أبيات القصيدة تشهد اختلالًا في الوزن والقافية واضطرابًا في المعنى، مما يرجح أنها كتبتها في أواخر حياتها. وبعد زيارتها الأولى لقبره تكتب مرثية أخرى له تستفتحها ببيت يحمل حكمة الموت والحياة وأن قضاء الله لا يعاديه إلا جهول ضعيف الإيمان:

لا نعادي مشيئة أو قضاءً

نفذ السهم ما لحي بقاءُ(٦٦)

وتوضح فيها أيضًا أن الموت يصطفي الأخيار وينال من الأحرار الأباة:

والمنايا تختار أسمى ضحايا

ها وهم في سحلها شهداءُ

نال منه المنون حرًا أبيًا

رُب (ميتٍ) لا يعتريه فناءُ(٦٧)

وهي في البيت الأول متأثرة بقول طرفة بن العبد في معلقته:

أرى الموت يعتامُ الكرام ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد(٦٨)

٦- "جميلة" ترثي نفسها:

إذا كان الشعراء قد ندبوا أهليهم وذويهم فأولى لهم أن يندبوا أنفسهم حين تحين ساعة الموت(٦٩)، أو يقترب الأجل أو يقعون في شدة أو مرض لا يرجئ برؤه، أو يبلغون من العمر أمدًا طويلًا لا يتجاوزه إلا القليل، فيتفكرون في الحياة الآخرة، ويستشرفونها ويقدمون الوصايا والنصائح لذرياتهم وأقاربهم، ويودعونها ما يتمنون فعله لهم بعد رحيلهم أو ما يقلقهم على الأهل والأبناء بعد الرحيل، وقد رثى شعراء كثر أنفسهم من قديم، وناحوا عليها قبل أن يحين حينهم، وأشهر ما وصلنا من رثاء النفس وأبلغها ألمًا قصيدة: "مالك بن الريب" في رثاء نفسه والتي مطلعها:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا(٧٠)

وفيها يقول:

ويا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا

برابية إني مقيم لياليا

وخطا بأطراف الأسئلة مضجعي

وردًا على عيني فضل ردائيا

خذاني فجراني ببردي إليكما

فقد كنت قبل اليوم صعبًا قياديا(٧١)

وعلى مدى عصور الأدب المختلفة يشيع رثاء النفس وصولًا لعصرنا الحديث، ويُعد "الشابي" أحر من بكى نفسه ورثاها في عصرنا الحديث وقصيدته: (الصباح الجديد) نموذج لهذا الضرب من الرثاء(٧٢).

و"جميلة" التي جاوز عمرها الثمانين بأربع سنوات كتبت وصيتها الشعرية قبل رحيلها بحوالي عشر سنوات، بعد أن ودعت كثيرًا من الأحباء والأصفياء والأقارب، وبقيت وحدها ترسف في أغلال الوحدة الموحشة. وقبل هذا التاريخ كانت "جميلة" تترصد رحيلها مع رحيل كل قريب، وحبيب، وعزيز، فهي تختم رثائها لأمها معبرة عن هذا المعنى:

لئن كنت قد أخرت بعدك في الورى

فإن المنايا سوف تسرع في الأثر(٧٣)

وفي رثاء أخيها "رفعت العلايلي" ودت لو طال أجله، وكان ممن يشهدون مواراة جسدها الثرى، فتقول:

قد كنت آمل أن ترثى شقيقتكم

وعند موتي لجثماني تواريه

لكن سبق، وهذا يا أخي قدر

وكل حي له يوم يوافيه(٧٤)

وتستعد "جميلة" للرحيل في قصيدتها: "وصيتي" فتكتم آلامها، وخواطرها الباكية التي عشقتها، وتشرع في وصيتها داعية ذويها أن يترفقوا بروحها، فكم أسعدت حيارى الأرض فتقول:

وكتمت في قلبي الحنون خواطري

حتى عشقت متاعبي وبكائي

فترفقوا بالروح روحي طالما

وهبت حيارى الأرض كل هناءِ

ودعوا العذاب يثل عرش سعادتي

ثم اتركوني أكتوي بشقائي

وتذكروا الحب الذي أعطيته

لا فرق بين الأهل، والغرباء

حسبي من الدنيا المهيمنُ راحمًا

حسبي إلهي أن يجيب ندائي(٧٥)

وهي ليست جزعة على فراق الدنيا، أو متهيبة للرحيل، ولكنها يساورها القلق والخوف على ولدها "جلال" متشككة في نوايا من يترددون إليه للاقتران به. وتتمنى أن يظفر بالزوج الصالحة التي تشبهها في أخلاقها، فتكون له كما كانت أمه لأبيه حنوًا، وتوافقًا وطهرًا، حيث تقول:

لا شيء يُقلقني سوى وهم جرى

أخشى على ولدي أذى البأساء

أخشى عليه الحب دون رويةٍ

فالبنت قد خلعت نقاب حياء(٧٦)

ثم تقوم بوصف تلك الفتاة العصرية التي تتسابق على صيد الفتى، ولا تستحي من أهلها، فتتفنن في إغواء الشباب فتصبح كالسلعة المعروضة للجميع، لا تعرف الحب المطهر عن الهوى والغرض، وتؤكد هذا القلق فتقول:

أخشى تواتيني المنية قبلما

يحظى "جلال" بمن تكون عزائي

فأرى لديه خير زوج شأنها

شأني، ووالده الحنون إزائي

أنا لا أهاب الموت بعد وإنما

أخشى أراه، وهو في البسطاءِ

لم يدر بعد من التي بزواجها

توليه حبًا من تقى، ونقاءِ

وبها سمات الطهر مثل بيوتنا

طهرًا سيدرأ عنه كل عناء(٧٧)

وتختم وصيتها بالدعاء لوليدها أن يصونه ربه، ويعينه في العسر والشدة، وتدعو من يشهدون رحيلها أن يترفقوا بذكرياتها التي أودعتها السماء وأن روحها ستظل بعد موتها نورًا يضيء، ويهدي الحيارى، وبلسمًا شافيًا للأدواء، فتقول:

وترفقوا بالذكريات فإنني

أودعتها بعد الممات سمائي

ستكون روحي بعد موتي دائمًا

نورًا يضيء، وبلسمًا للداء(٧٨)

الخاتمـــة:

يكاد يوقفنا التاريخ الأدبي لشاعرتنا الأبولونية والذي استمر مدى أكثر من نصف قرن من الزمان كله ثراء وعطاء، على أنه لا يقتصر على تاريخ صاحبته فحسب؛ بل إنه يمس تاريخ أعلام كثيرين ممن تحلقوا حولهم مفتونين بها أدبًا وجمالًا، فقد كشفت الدراسة في حياة "جميلة" عن مدى تعلقها بـــــ(مي) واستفادتها في العمل الاجتماعي والتطوعي من "هدى شعراوي" وتتلمذها على يد أبي شادي أول من ارتقى بها سلم المجد الأدبي، كما تكشف حياتها عن علاقات حب وهيام، كانت أشدها ثورة علاقة الدكتور/ زكي مبارك بها، والتي ضمن رسائله: "مجنون سعاد" بعض أحداثها، كما كانت أشدها خفاءً وروحية علاقتها بالأستاذ "أنور الجندي" تلك العلاقة التي لم يلتفت إليها أحد من المحيطين بها وثمة علاقات أخرى بكثير من أعلام عصرها، قامت في أكثرها بدور الملهمة والأستاذة الرائدة.

واستقبل النقاد شعرها استقبالًا طيبًا خصوصًا ديوانها الأول (صدى أحلامي) حيث نال من الحفاوة والتقريظ ما لم ينله أي من دواوين الشعر النسوي في بدايات عصر النهضة.

كما عالجت "جميلة العلايلي" معظم الأغراض والموضوعات الشعرية فهي في الحب متسامية، ذات جنوح للمثال، رفافة الخيال، وهي بالطبيعة كسائر الرومانسيين، متيمة ترتمي في أحضانها، ويلد لها الهروب إليها، وتزداد نبرة الشكوى والألم في شعرها بصورة تصل للتبرم بالقدر، شكوى القضاء، مما قد يوقعها في محاذير عقدية، إلا أن هذا المسلك لا تدعمه شواهد أخرى قوامها حب الله، وامتداح رسوله، وآل البيت الأطهار، فشكواها في حقيقتها شكوى الناس والمجتمع المليء بالظلم والعسف.

كما أن شعرها لا يخلو من تأملات فلسفية، تحمل من الشكوك واللاإرادية شيئًا غير يسير وتلجئها الفلسفة للتعلق بأذيال الصور الحكمية، القائمة على استخلاص العِبر والتجارب، ويعبر شعرها الاجتماعي عن إحساسها الراقي بأسرتها، وإنسانيتها العالية،

وانطلاقها من منظار ذاتيتها لتعبر عن وجدان الجماعة وآلامهم. كما كان شعرها الوطني معبرًا عن الروح المحبة للوطن المشيدة بزعاماته السياسية، الحزينة لما يصيب الوطن من كبوات وآلام وطنية.

بينما يعبر الرثاء عندها عن نفس حزينة، إن جزعت لا تسخط؛ بل على قدر الخطب تتعايش معه، حيث تنوعت مراثيها بين رثائها زعماء السياسة، وأعلام الأدب والفن، والأهل والأقارب، وترصدها قرب الرحيل فرثت نفسها.

وتبين أن معجمها الشعري يُعد امتدادًا للمعجم الرومانسي القائم على استخدام الكثير من الألفاظ الإيحائية، والتعابير الجديدة، الألفاظ العصرية السلسة، وإن لم يخل من الألفاظ الذاتية المستمدة من المعجم القديم، أو من القرآن الكريم، أو من استدعاءات تراثية للتاريخ زمانًا، ومكانًا.

إن شعر "جميلة" يتنوع أغراضه، وصوره، وأساليبه، يكتب لها منزلة راقية في حياتنا الأدبية، سبقت بها كثيرات من شاعرات عصرها، وإن كانت ظروف العصر قد أثرت في إبراز أخريات يتمتعن أيضًا بالموهبة، والتحرر الأدبي، الذي كان يمثل عند جميلة نوعًا من الجرأة الأدبية نادرة الوقوع في عصرها.

الهوامش:

١. المحافظة والتجديد في النثر المعاصر، أنور الجندي، مطبعة الرسالة، ١٩٦١م، ص ٧٦٢.
٢. قصة هندية، جميلة العلايلي، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ص ١٢.
٣. أنا ولدي، جميلة العلايلي، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٨٣.
٤. المصدر السابق، ص ٨٠.
٥. المصدر السابق نفسه.
٦. مصطفى لطفي المنفلوطي، حياته وأدبه، الجزء الثالث (شعره)، د. محمد أبو الأنوار، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٦٥.
٧. المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، ١٤١٩ ه – ١٩٩٩م، ص ٤٧٣.
٨. أبحاث ومقالات: أحمد الشايب، من مقالة له بعنوان: (فن الرثاء والشوقيات)، نشرته مجلة الشباب في ٣ مارس ١٩٣٦م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة ١٩٤٦م، ص ٣٩٠.
٩. تاريخ الأدب العربي: كار بروكلمان، دار المعارف، ١٩٦١م، ج (١)، ص ١٦٤.
١٠. طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، تقديم: د. عبد الحكيم راضي، سلسلة الذخائر، (٧٢) السفر الأول، ص ٢١٠.
١١. الحماسة: أبو عبادة البحتري، ضبطه وعلق عليه: كمال مصطفى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط (١)، ١٩٢٩م، الباب الرابع والسبعون والمائة، ص ٤٢٣-٤٣٦.
١٢. عرض لهذه الضروب الدكتور أحمد محمد الحوفي في كتابه: (أضواء على الأدب الحديث)، دار المعارف ط (١)، ١٩٨١م، ص ١٥٣-١٥٤.
١٣. مجلة "الأهداف"، عدد نوفمبر ١٩٧٠م، ص ١٤.
١٤. المصدر السابق، ص ١٤.
١٥. المصدر السابق نفسه.
١٦. مجلة "الأهداف"، عدد نوفمبر ١٩٧٠م، ص ١٤.
١٧. مجلة "الثقافة"، عدد نوفمبر ١٩٨١م، ص ٤٥.
١٨. مجلة "الثقافة"، عدد نوفمبر ١٩٨١م، ص ٤٥.

١٩. المصدر السابق، ص ٤٥، وفي ديوانها المخطوط: "آخر المطاف" جعلت (أرض) بدلًا من (شعب) في عجز البيت الثاني وغيرت عجز البيت الأخير إلى: (وكنت أبرنا بذلًا ثمينًا).
٢٠. المصدر السابق، ص ٤٥.
٢١. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٢٢. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٢٣. ديوانها المخطوط: السابق.
٢٤. ديوانها المخطوط: السابق.
٢٥. ديوانها صدى إيماني، ص ١٠٧-١٠٨.
٢٦. مجنون سعاد (رسائل): زكي مبارك، تقديم: كريمة زكي مبـــارك، كتـــاب الهـــلال (٣١٥)، مـــارس ١٩٧٧م.
٢٧. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٢٨. ديوانها السابق نفسه.
٢٩. القصيدة من بحر الكامل.
٣٠. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٣١. المرجع السابق.
٣٢. لمرجع السابق.
٣٣. لأبيات في ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٣٤. يوانها المخطوط: آخر المطاف.
٣٥. جلة الثقافة، العدد ٩٧، ص ٣٨، بعنوان: أمي.
٣٦. جلة الثقافة، العدد ٩٧، أكتوبر ١٩٨١م، ص ٣٨، بعنوان: أمي.
٣٧. لمرجع السابق، ص ٣٨.
٣٨. لمرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.
٣٩. جلة الثقافة، العدد ٩٧، أكتوبر ١٩٨١م، ص ٣٩، بعنوان: أمي.
٤٠. لمرجع السابق، ص ٣٩.
٤١. لمرجع السابق، ص ٣٩.
٤٢. جلة الثقافة، العدد ٩٧، أكتوبر ١٩٨١م، ص ٣٩، بعنوان: أمي.
٤٣. جلة "الأهداف" عدد (فبراير – مـــارس – إبريـــل) ١٩٦٥م.
٤٤. جلة "الأهداف" عدد (مايو – يونيـــو) ١٩٦١م، ص ٢١.
٤٥. جلة "الأهداف" عدد (إبريل)، ص ١٨.
٤٦. لمرجع السابق، عدد (أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر) ١٩٦١م، ص ٤١.
٤٧. جلة الأهداف، عدد (أكتوبر – نوفمبر – ديســـمبر) ١٩٦١م، ص ٤١.
٤٨. لمرجع السابق، ص ٤١.
٤٩. لمرجع السابق، ص ٤١.
٥٠. لمرجع السابق، عدد (سبتمبر – أكتوبر – نوفمبر) ١٩٦٣م، ص ٤٨-٤٩.
٥١. جلة الثقافة، العدد (٧٣) أكتوبر ١٩٧٩م، ص ٤١.
٥٢. لمرجع السابق، ص ٤١.
٥٣. جلة "الأهداف" عدد (سبتمبر – أكتوبر – نـــوفمبر) ١٩٦٣م، ص ٣٩.
٥٤. لمرجع السابق، ص ٢٨.
٥٥. مجلة "الأهداف" عدد (سبتمبر – أكتوبر – نوفمبر) ١٩٦٣م، ص ٢٨.
٥٦. الكراسة المخطوطة التي تضم مجموعة المراثـــي وديوانها المخطوط: (آخر المطاف).
٥٧. المرجع السابق.
٥٨. الكراسة المخطوطة التي تضم مجموعة المراثـــي وديوانها المخطوط: (آخر المطاف).
٥٩. المخطوط السابق.
٦٠. مجلة الثقافة، العدد (٦٣) ديسمبر ١٩٧٨م، ديوانها المخطوط: آخر المطاف، ص، ٦٧.
٦١. مجلة الثقافة، العدد (٦٣) ديسمبر ١٩٧٨م، ديوانها المخطوط: آخر المطاف، ص، ٦٧.
٦٢. السابق، ص ٦٧.
٦٣. السابق، ص ٦٧.
٦٤. مجلة الثقافة، العدد (٦٣) ديسمبر ١٩٧٨م، ديوانها المخطوط: آخر المطاف، ص، ٦٧.
٦٥. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٦٦. المخطوط السابق.

٦٧. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٦٨. شرح المعلقات السبع للزروني، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت)، ص ٦٢.
٦٩. الرثاء: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٣٠.
٧٠. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، القاهرة، إيداع ١٩٨١م، ص ٦٠٧.
٧١. المرجع السابق، ص ٦١٠-٦١١.
٧٢. الرثاء: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٣٤.
٧٣. ديوانها المخطوط: آخر المطاف.
٧٤. السابق.
٧٥. ديوان نبضات شاعرة، ص ١٥٤.
٧٦. السابق.
٧٧. السابق.
٧٨. ديوان نبضات شاعرة، ص ١٥٧

المصادر والمراجع باللغة العربية

١- إبراهيم الإبياري: الوطن في الأدب العربي، دار القلم، القاهرة، المكتبة الثقافية (٧٣)، ١٥ نوفمبر ١٩٦٢م.
٢- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ط ١٩٥٢م، (نشر المؤلف).
٣- إبراهيم عبد القادر المازني: ديوان المازني، راجعة وضبطه: محمود عماد ط المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٩م.
٤- إبراهيم ناجي: الأعمال الشعرية الكاملة، تحقيق ودراسة: حسن توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م.
٥- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق، عمان/ الأردن، ط (٢)، ١٩٩٢م.
٦- أحمد الشايب: أبحاث ومقالات، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، تاريخ المقدمة: يونيو ١٩٤٦م.
٧- أحمد العلاونة: ذيل الأعلام، دار المنارة، جدة، السعودية، ط (١)، ١٤١٨ه-١٩٩٨م.
٨- أحمد المعتوق: الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنمية المجتمع، سلسلة عالم المعرفة، (٢١٢) بالكويت، أغسطس ١٩٩٦م.
٩- أحمد درويش: في نقد الشعر (الكلمة والمجهر)، دار الشروق، القاهرة، ط (١٤١٧ه-١٩٩٦م).
١٠-أحمد زكي أبو شادي: قضايا الشعر المعاصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٩م.
١١-أحمد محمد الحوفي: أضواء على الأدب الحديث، دار المعارف بمصر، ط (١)، ١٩٨١م.
١٢-أحمد محمد عطية: أدب البحر، دار المعارف، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية، (٨١)، ١٩٨١م.
١٣-أحمد محمد عوين: في الشعر العربي الحديث (أبوللو نموذجًا)، ط الملتقى المصري للإبداع والتنمية، سلسلة الدراسات والبحوث الأدبية (٣)، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
١٤-أحمد مصطفى حافظ: شعراء ودواوين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م، وهي الطبعة نفسها الصادرة عام ١٩٨٩م.

١٥-أحمد مطلوب: عاشق بغداد (زكي مبارك) دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، ط (١)، ٢٠٠١م.
١٦-أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب العالمية الكبرى الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.
١٧-أنور الجندي: أدب المرأة العربية، تطوره، وأعلامه، مطبعة الرسالة، القاهرة، (د.ت).
١٨-البحتري (أبو عبادة البحتري): الحماسة، ضبطه وعلق عليه: كمال مصطفى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط (١)، ١٩٢٩م.
١٩-بدوي طبانة: أدب المرأة العراقية في القرن العشرين، دار الثقافة، بيروت، ط (٢)، (د.ت).
٢٠-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (٢)، ١٩٧٩م.
٢١-جابر أحمد عصفور: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.
٢٢-جامعة أدباء العروبة: (لفيف من الأدباء)، أدب العروبة، جامعة أدباء العروبة، أشرف على طبعه، ونشره، أحمد عبد المجيد الغزالي، وطه عبد الباقي سرور (١٣٦٦ه-١٩٤٧م).
٢٣-زكي مبارك: مجنون سعاد (رسائل)، تقديم: كريمة زكي مبارك، كتاب الهلال (٣١٥)، مارس ١٩٧٧م.
٢٤-أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ت إيداع ١٩٨١م.
٢٥-سعد دعبس: تيار رفض المجتمع في الشعر العربي الحديث في مصر (١٩٣٠-١٩٧٠م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
٢٦-السعيد الورقي: لغة الشعر الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف؛ ط (٢)، ١٩٨٣م.
٢٧-ابن سلام (محمد بن سلام الجُمحي): طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح: محمود محمد شاكر، تقديم: د. عبد الحكيم راضي.
٢٨-سيد البحروي: قراءة الشعر وبناء الدلالة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٩-شفيع السيد: قراءة الشعر وبناء الدلالة ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
٣٠-شكري فيصل: مناهج الدراسة الادبية في الأدب العربي، عرض ونقد واقتراح: دار العلم للملايين، بيروت، ط (٣)، ١٣٢٩ه ١٩٧٣ م.
٣١-شكري محمد عياد: أزمة الشعر المعاصر، طبعة أصدقاء الكتاب، القاهرة، ط (١) ١٩٩٨م.

٣٢-شوقي ضيف: الرثاء، دار المعارف، القاهرة، سلسلة فنون الأدب العربي، ط (٢)، ت إيداع ١٩٧٩م.
٣٣-صابر عبد الدايم، أدب المهجر، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٣٤-طلعت أبو العزم: الشعر الوجداني لدى شعراء أبوللو، المكتبة القومية بطنطا، ١٩٨٧م.
٣٥-طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، (ت. إيداع ١٩٨٢م).
٣٦-عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): الشاعرة العربية المعاصرة، محاضرات معهد الدراسات العربية العالية (١٩٦٢-١٩٦٣م).
٣٧-عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط (٣)، ١٩٦٥م.
٣٨-عبد العزيز الدسوقي، جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة ذاكرة الكتابة رقم (١٥)، (١٦)، ط (٤)، ٢٠٠٠م.
٣٩-عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ت).
٤٠-عبد القادر رشيد الناصري: ألحان الألم (ديوان)، تقديم: الشاعرة جميلة العلايلي، مطبعة الأهالي، بغداد، ١٩٣٩م.
٤١-عبد القاهر الجرجاني: (ت: ٤٧١هـ) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمد محمود شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.
٤٢-عبد اللطيف عبد الحليم، أبو همام: حديث الشعر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط (١) (رمضان ١٤٢٥هـ- أكتوبر ٢٠٠٤م).
٤٣-عبد المحسن طه بدر: التطور والتجديد في الشعر المصري الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية، ١٩٩١م.
٤٤-عبد الواحد علام: اتجاهات نقد الشعر في مصر، (١٩٤٠-١٩٦٥م)، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٩م.
٤٥-عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوي، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.
٤٦-علي الجندي (الشاعر): الشعراء وإنشاد الشعر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.
٤٧-فتوح راشد: في الأصيل، تصدير: جميلة العلايلي، دار الطباعة المصرية بالزقازيق، (د.ت).
٤٨-كريمة زكي مبارك: زكي مبارك بقلم زكي مبارك، تقديم: كريمة زكي مبارك، مطبعة الفجالة الجديدة، ت إيداع ١٩٨٨م.

٤٩-مجمع اللغة العربية: المعجم الكبير، الجزء الأول، حرف الهمزة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.

٥٠-محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، (١٤١٩ه-١٩٩٩م).

٥١-محمد سعد فشوان: مدرسة أبوللو الشعرية في ضوء النقد الحديث، دار المعارف، القاهرة، مكتبة الدراسات الأدبية، (٨٦)، ١٩٨٢م.

٥٢-محمد عبد المنعم خفاجي: البحوث الأدبية، مناهجها، ومصادرها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢)، ١٩٨٠م.

٥٣-محمد ناصر الدين الألباني: أحكام الجنائز وبدعها، المكتب الإسلامي (بيروت – دمشق)، ط (٤)، (١٤٠٦ه-١٩٨٦م).

٥٤-مصطفى عبد الشافي الشورى: شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، (د.ت).

٥٥-نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب، بيروت، ط (١) أيلول ١٩٦٢م.

يوسف عز الدين عيسى: التجديد في الشعر العربي الحديث، كتاب النادي الأدبي بجدة، (٣٥)، ط (١)، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م